

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } . ١-١١-١٤٣٤

أولاً: ثمرات اليقين:

اليقين سببٌ في الفلاح:

قال الله عز وجل في صفات المفلحين: { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } .

٢- الظفرُ بالإمامة في الدين:

قال الله تعالى: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } .

٣- الثبات في القبور:

في الصحيحين عن هشام بن عروة عن امرأته فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت: أتيت عائشة زوج النبي ﷺ حين خسفت الشمس فإذا الناس قيامٌ يصلون وإذا هي قائمةٌ تُصلي فقلت ما للناس فأشارت بيدها إلى السماء وقالت سبحان الله فقلت آية فأشارت أي نعم قالت فقمْتُ حتى تجلاني الغشي فجعلت أصبُّ فوق رأسي الماء فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد أوحى إلي أنكم تُفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال لا أدري أيتهما قالت أسماء يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فأما المؤمن أو الموقن لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَاهْدَى فَاَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا فَيُقَالُ
لَهُ نَمَّ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا اِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا وَاَمَّا الْمُنَافِقُ اَوْ الْمُرْتَابُ لَا اَدْرِي
اَيَّتَهُمَا قَالَتْ اَسْمَاءُ فَيَقُولُ لَا اَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا
فَقُلْتُهُ".

٤ - الفوزُ بالجَنَّةِ:

أخرج مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزَعَنَا
فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ
حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ أَبَا فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا
رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بئرِ خَارِجَةِ وَالرَّبِيعُ الْجُدُولُ

فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَبُو
هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْتُ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا
فَقُمْتُ فَأَبْطَأْتُ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَزِعْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ
فَزِعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ وَهُوَ لَاءِ النَّاسِ
وَرَائِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلِيهِ قَالَ أَذْهَبُ بِنَعْلِي هَاتَيْنِ فَمَنْ
لَقِيَتْ مِنْ وِرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيِّقِنًا بِهَا قَلْبُهُ
فَبَشِّرُهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيْتُ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا
هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيْتُ يَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيِّقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرُهُ بِالْجَنَّةِ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سَيِّدُ
الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ

وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ
أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ
يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ
أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ".

٥- الشوقُ إلى الجنة والخوفُ من النار:

روى أبو نعيم في "حلية الأولياء" عن سفيان الثوري رحمه الله قال:
«لو أنَّ اليقين استقرَّ في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وحرزاً وشوقاً إلى
الجنة، أو خوفاً من النار».

٦- التوفيقُ للصالح:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في " زاد المعاد": لا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا من قلبه وبدنه.

٧- السلامة والعافية من مرضي الشبهة والشهوة:

قال العلامة ابن القيم في "المدارج": فيه - يعني اليقين - تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين وُلد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال تعالى:- وبقوله يهتدي المهتدون - {

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.
وخصّ سبحانه وتعالى أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال - وهو أصدق القائلين - { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ }.

وخصّ أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العالمين، فقال سبحانه: {
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ}. وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أصحاب
اليقين، فقال عزّ من قائل: { وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا
رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَؤَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُسْتَيْقِنِينَ}. فاليقينُ روحُ أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال
الجوارح وهو حقيقة الصّدقيّة، وقطبُ هذا الشّيء الذي عليه مداره.
واليقينُ قرين التّوكّل، ولهذا فُسر التّوكّل بقوة اليقين. ومتى وصل
اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً وانتفى عنه كلّ شكٍّ وريب،
وهمٌّ وغمٌّ، فامتلاً محبةً لله، وخوفاً منه، ورضىً به، وشكراً له، وتوكلاً
عليه وإنابةً إليه، فهو مادّة جميع المقامات والحامل لها.

وقال العلامة السعدي في " تفسيره " : وقوله: { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعالها، من مرض الشهوات ، كما قال تعالى: { فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية.

ثانياً: تعريف اليقين:

قال الإمام البيهقي في " الزهد الكبير ": اليقين هو سكون القلب عند العمل بما صدق به القلب فالقلب مطمئن ليس فيه تخويف من الشيطان ولا يؤثّر فيه تخوفٌ. فالقلب ساكن آمن ليس يخاف من الدنيا قليلاً ولا كثيراً .

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسيره: اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

ثالثاً: درجات اليقين:

الأولى: علم اليقين. قال تعالى: { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ } . فعلمُ اليقين هو العلم الجازم المطابق للواقع الذي لا شك فيه.

والثانية: عين اليقين. قال تعالى: { ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ }. وهو ما كان عن مشاهدة.

والثالثة: حق اليقين . قال تعالى: { وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ }.

قال ابن القيم في "المدارج" ومما يوضح ذلك: أن يخبرك شخص أن عنده عسلاً وأنت لا تشك في صدقه. ثم أراك إياه فازددت يقينا، ثم ذقت منه. فالأول علم اليقين، والثاني عين اليقين، والثالث حق اليقين. فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين، وشاهدها الخلائق، وبرزت الجحيم للغاوين، وعانيتها الخلائق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فذلك حينئذ حق اليقين.

رابعاً: أسباب حصول اليقين:

١- اتباع الحق وترك الهوى وتدبر كلام الله:

قال الله تعالى: { وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ
أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }.

قال العلامة السعدي: ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل
العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه
بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكم والقصة والإخبارات تُعاد
في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها
بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع

الأمور، فلذلك قال تعالى: { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا } أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً.

٢- التزام سبيل رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله:

أخرج البخاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن
عبّاس رضي الله عنهما أنه أخبره أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر
يدعوه إلى الإسلام وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي وأمره رسول
الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر وكان قيصر لما
كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكراً لما أبلاه
الله فلما جاء قيصر كتاب رسول الله ﷺ قال حين قرأه التمسوا لي ها
هنا أحداً من قومه لأسأهم عن رسول الله ﷺ قال ابن عباس
فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشَّام في رجال من قريش

قَدِمُوا تِجَارًا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ
قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَوَجَدْنَا رَسُولَ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّامِ فَاَنْطَلَقَ بِي
وَبِأَصْحَابِي حَتَّى قَدِمْنَا إِيْلِيَاءَ فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ
مُلْكِهِ وَعَلَيْهِ التَّاجُ وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ سَلَهُمْ أَيُّهُمْ
أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيُّ قَالِ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ
أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا قَالَ مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَقُلْتُ هُوَ ابْنُ عَمِّي
وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي فَقَالَ قَيْصَرُ
أَدْنُوهُ وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي فَجُعِلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ
قُلْ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يُزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيُّ قَالِ فَإِنْ كَذَبَ
فَكَذَّبُوهُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ يَوْمئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْتُرَ أَصْحَابِي
عَنِّي الْكَذِبَ لَكَذَّبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْتُرُوا

الْكَذِبَ عَنِّي فَصَدَّقْتُهُ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِي قُلْ لَهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ
فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ
قُلْتُ لَا فَقَالَ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ عَلَى الْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا
قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ
أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ قُلْتُ بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ قَالَ فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ
يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا
قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ الْآنَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ
قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَلَمْ يُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ بِهِ لَا أَخَافُ
أَنْ تَوَثَّرَ عَنِّي غَيْرُهَا قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ
كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ قُلْتُ كَانَتْ دَوْلًا وَسِجَالًا يُدَالُ عَلَيْنَا الْمُرَّةُ
وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَى قَالَ فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ قَالَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ

لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَيُنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ
وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فَقَالَ لِرَجْمَانِهِ حِينَ
قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَيُكْمُ فَرَعَمَتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ
وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ
هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ فَرَعَمَتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا
الْقَوْلَ قَبْلَهُ قُلْتُ رَجُلٌ يَأْتُمُ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ
تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَرَعَمَتَ أَنْ لَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ
آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَرَعَمَتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ يَطْلُبُ
مُلْكَ آبَائِهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ فَرَعَمَتَ أَنْ
ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُلِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ

فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ زَبِيدُونَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّىٰ يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ

أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَزَعَمْتَ أَنَّ لَا

فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلُطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ

أَحَدٌ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنَّ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا

يَغْدِرُونَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلْتُمْوهُ فَزَعَمْتَ أَنَّ قَدْ فَعَلَ وَأَنَّ

حَرْبِكُمْ وَحَرْبُهُ تَكُونُ دَوْلًا وَيُدَالُ عَلَيْكُمْ الْمُرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَىٰ

وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَىٰ وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ وَسَأَلْتُكَ بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ

فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَمَّا

كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِفَافِ وَالْوَفَاءِ

بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ قَالَ وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ

وَلَكِنْ لَمْ أَظَنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ

مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَلَوْ أَرَجُو أَنْ أَخْلَصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَهُ وَلَوْ

كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمِيهِ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ

فَقَرَأَ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ

بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِن

تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّنَ وَ } يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا أَنْ قَضَى مَقَالَتهُ عَلَّتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ

عُظَمَاءِ الرُّومِ وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ فَلَا أَدْرِي مَاذَا قَالُوا وَأَمْرٌ بِنَا فَأُخْرِجْنَا فَلَمَّا

أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي وَخَلَوْتُ بِهِمْ قُلْتُ لَهُمْ لَقَدْ أَمَرَ أَمْرٌ ابْنِ أَبِي

كَبْشَةَ هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا
مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌِ".

٣- معارضة أهل الباطل للحق:

قال العلامة السعدي رحمه الله : وفي هذه القصة

- يعني قصة طالوت - من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب،
فمنها: أن الحق كلما عورض وأوردت عليه الشبهُ ازداد وضوحا
وتميز وحصل به اليقين التام كما جرى لهؤلاء، لما اعترضوا على
استحقاق طالوت للملك أجبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال
الشبه والريب.

٤- الهممة العالية إلى الدار الآخرة:

قال العلامة السعدي في تفسير قوله تعالى: { فآتت أكلها ضعفين }
أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة
لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها { فإن لم يصبها
وابل فطل } أي: مطر قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين
أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمي له ما
أنفق أتم تنمية وأكملها والمنمي لها هو الذي أرحم بك من نفسك،
الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيا لله لو قدر وجود بستان في
هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد،
ولحصل الاقتتال عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتها
وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر
إليه بعين بصيرة الإيوان، دائم مستمر فيه أنواع المسرات والفرحات،

ومع هذا تجرد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترى ذلك زهداً في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعده الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وبأشرف الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: { والله بما تعملون بصير } فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازيه عليه أتم الجزاء.

خامساً: من علامات قوة اليقين:

١ - ظهور آيات الله تعالى للعبد:

قال الله تبارك وتعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } .

٢- التبصرُ بشريعة الله والاهتداءُ بها:

قال تبارك وتعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } هذا بصائرٌ للناسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } .

قال العلامة السعدي على قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } قل بفضلِ اللهِ وبرحمتهِ فبذلكَ فليفرحوا هو خيرٌ مما يجتمعون } . يقول

تعالى مرغبا للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر
أوصافه المحسنة الضرورية للعباد فقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } أي: تعظكم، وتذكركم عن الأعمال الموجبة
لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها.

{ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ } وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من
أمراض الشهوات الصادرة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات،
القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب
والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرغبة. وإذا
وُجِدَتْ فِيهِ الرِّغْبَةُ فِي الْخَيْرِ، وَالرِّهْبَةُ مِنَ الشَّرِّ، وَنَمَتَا عَلَى تَكَرُّرِ مَا يَرِدُ
إِلَيْهَا مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ، أَوْجِبَ ذَلِكَ تَقْدِيمَ مَرَادِ اللَّهِ عَلَى مَرَادِ النَّفْسِ،
وَصَارَ مَا يَرْضَى اللَّهُ أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ شَهْوَةِ نَفْسِهِ. وكذلك ما فيه

من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين. وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده. { وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ } فالهدى هو العلم بالحق والعمل به. والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين. وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور. ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ } الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة

ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده { وَبِرَحْمَتِهِ } الدين

والإيمان، وعبادة الله ومحبه ومعرفته. { فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ } من متاع الدنيا ولذاتها. فنعمة الدين المتصلة بسعادة

الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل

عن قريب. وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما

يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة

الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما.

٣- دعوة الناس إلى الحق:

قال العلامة السعدي في " تفسيره ": فأما من هداه الله، ووصل إلى

أعلى درجات اليقين، فإنه يدعو الناس إلى ما هو عليه.

٤- تعلم العلم الصحيح واتباع الدليل:

قال العلامة السعدي على قول الله تعالى: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ
يُشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
. }

يقول تعالى مبينا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته،

وعلامة شقاوته وضلاله: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع
وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك
نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذا به غير مستثقل،
فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك
أقوم الطريق. وأن علامة من يرد الله أن يضلّه، أن يجعل صدره ضيقا
حرجا. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس

قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه
لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه
يكلف الصعود إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه. وهذا سببه، عدم
إيمانهم، هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم، لأنهم سدوا
على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا
يتغير.

وقال: { وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى
درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى
درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها
المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة

الدلائل، حتى وصلوا لذلك، فبالصبر واليقين، تُنالُ الإمامة في الدين.

سادساً: علاماتُ ضَعْفِ اليقين:

١ - الاستخفاءُ من الناس وعدمُ التخفي من الله:

قال العلامة السعدي: ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم { يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ } وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم. وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصاً في حال تبيتهم ما لا يرضيه من القول.

٢- ضعفُ العقل:

قال العلامة السعدي: { وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة. وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل سهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه.

وقال: { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ } بهذه الفتنة العظيمة { وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا } بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر - والله الحمد - من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين

والآخرين. وعندما اشتد الكرب، وتفاقت الشدائد، صار إيمانهم

عين اليقين، { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا }

وهناك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون قال تعالى: {

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا

غُرُورًا } .

وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله

القاصر، إلى الحالة القاصرة ويصدق ظنه.